خصائص وتركيبة المجتمع الليبي خلال العهد العثماني الثاني

(١٨٣٥- ١٩١١)

اعداد : عمر محمد أبوالقاسم إبراهيم

مقـــــــدمة

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على تركيبة المجتمع الليبي خلال العهد العثماني الثاني(١٨٣٥ ـ ١٩١١م) حيث أن المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات الأخرى يتكون من خليط من أجناس وافدة منها العربية والأجنبية والإفريقية توافدت إلى المنطقة نتيجة للعديد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

هذا الأمر أثر في التركيبة السكانية للمجتمع الليبي وخاصة في المدن مما افقده الكثير من العادات والخصوصيات التي كان يتميز بها ،فالعصبية على سبيل المثال تضاءلت في المدن نظرا للعديد من الأسباب .

على عكس القبائل البدوية في ليبيا التي حافظت على خصوصيتها والتي كانت تغطي مساحة واسعة من الحيز الجغرافي لليبيا ،بحكم أن الوافدين يتمركزون في المدن ، ومع هذا وبالرغم من العديد من النظم والإجراءات العثمانية في ليبيا ،إلا أن المجتمع الليبي حافظ على هويته ولغته العربية وبقيت القبيلة تلعب دورا محوريا في تركيبة المجتمع .

بنية المجتمع :

يتكون المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات من العديد من القبائل ذات الأصول الثابتة التي استوطنت هذا الإطار الجغرافي(ليبيا)، فالأفارقة والبربر(ألامازيغ)، يعدًون العنصر الأقدم توطنا في ليبيا، ثم جاء الإغريق خلال الألف الأول قبل الميلاد، ثم جاء بعدهم الفينيقيون خلال القرن السابع قبل الميلاد، وأسسوا بها ثلاث مدن هي أويا(طرابلس)ولبدة وصبراته(١)،واستقروا بليبيا،ومارسوا التجارة واستمروا في حكمهم حوالي مائتي سنة، إلى أن تم طردهم من قبل الرومان سنة ١٤٦ق.م(٢)، ثم الرومان خلال القرن الثالث قبل الميلاد، ثم الجرمان خلال القرن الرابع الميلادي، حيث إن قبائل الوندال نزحت من شبه الجزيرة الأيبيرية نحو الشمال الإفريقي تحت ضغط قبائل الهون، وقامت بغزو ليبيا سنة ٤٢٩م بقيادة قائدهم جنسريك، حيث دام حكمهم حوالي مائة وإحدى عشر سنة، إلى أن تم طردهم من قبل الرومان بقيادة جستنيان(٣)، ثم جاء من بعدهم العرب الفاتحون خلال القرن السابع الميلادي(٤).

---

١ ـ عبد الحفيظ فضيل الميار، **الحضارة الفينيقية في ليبيا**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ٢٠٠١م، ص.١١٧ .

٢ ـ هنري حبيب، **ليبيا بين الماضي والحاضر**، ترجمة شاكر إبراهيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان،طرابلس، ١٩٨١م ، ص.١٧.

٣ ـ سالم علي الحجاجي ، **ليبيا الجديدة(دراسة جغرافية اقتصادية سياسية)** مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس، ١٩٨٩م ، ص.١٣ .

٤ ـ محمد الطاهر الجراري، **"الخصوصية الليبية أو ثقافة الذنب والعار"**، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م، ص٣٣٩.

توالت الهجرات العربية فيما بعد إلى بلدان الشمال الإفريقي، وأهمها هجرة بنو هلال وبني سلُيم إلى ليبيا وتونس، كما عرف مجتمع طرابلس العديد من الفئات والعناصر الاجتماعية الأخرى، سواء كانت عربية أو أجنبية، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الفئات تمثل عنصرا أساسيا في التركيبة الاجتماعية لمجتمع المدينة وكانت لهم أماكن خاصة بهم في مدينة طرابلس قريبة من الميدان الرئيسي وقنصليات انجلترا وايطاليا وفرنسا في المدينة(٥)، ويرجع وجود العديد من الجاليات العربية والأجنبية في طرابلس، إلى العديد من العوامل التي كانت وراء نزوحهم إلى ليبيا، منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يضاف إلى ذلك الامتيازات التي منحها الدستور العثماني للأجانب، المتمثلة في امتلاك الأراضي والعقارات، والتمتع بالإعفاءات من الضرائب، ويمكن أن نشير إلى بعض العناصر البشرية التي استوطنت بليبيا أو عبرت خلالها إلى مناطق أخرى، والتي أثرت في التركيبة السكانية لمجتمع المدينة، بحكم التواصل والاختلاط السكاني الأمر الذي أوجد صعوبة في تحديد هوية السكان، إلا أن جلَّ سكان الولاية من أهالي البلاد الأصليين(العرب)، فضلاً عن اليهود، وهناك جنس مختلط بالزواج مع زنوج السودان، وهناك الفزانيون والطوارق والتونسيون هذا عدا المسيحيين الذين يضمون المالطيين ومجموعات أوربية أخرى(٦)، حيث إن العديد من العائلات ذات الأصول المحلية ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع عائلات إيطالية وأجنبية وعربية وافدة(٧)، ولهذا أصبح هناك تمازج بين أخلاط من الناس ضمن مجتمع مدينة طرابلس.

---

٥ ـ عماد الدين غانم ، **المجتمع الليبي لدى الرحالة الأوربيين**، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م، ص. ٣١٨.

٦ ـ الدجاني، احمد صدقي ، **ليبيا قبيل الاحتلال أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (١٨٨٢ ـ ١٩١١م)** ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص .٢١٨ .

٧ ـ مابل لومس تود ، **أسرار طرابلس** ، تح صلاح السوري، دار الفرجاني ، طرابلس ، ١٩٦٨م ، ص٦٤ .

ولكن يمكن لنا أن نقسم المجتمع الليبي إلى قسمين، المجتمع الحضري(سكان المدن) والمجتمع البدوي(سكان البادية)، وهذا التقسيم نجده في أغلب المجتمعات الأخرى.

فالمجتمع الحضري، بحكم وجوده في المدينة نجده يتكون من فئات وأعراق مختلفة منها أتراك وكورغلية، وهم نتاج اقتران العساكر والموظفين الأتراك الذين يعملون في طرابلس الغرب بالنساء الليبيات(٨)، وأشراف ومرابطون، وغيرهم من الجاليات الأجنبية الأخرى، وقد أورد الدجاني أن معظم سكان طرابلس من العرب، وأنهم يضمون بينهم عرباً ومغاربة وأتراكاً ومماليك ويهوداً وزنوجا وعدداً من النصارى(٩)، أما المجتمع البدوي فلا نجد فيه هذا الاختلاط، وفي أغلب الأحيان، فإن السكان من أصول وقبائل وعشائر محلية هي من تمثل سكان البادية.

اما عناصر المجتمع في ليبيا فيمكن تقسيمها إلى الآتي :

١ ـ السكان من أصول محلية :

السكان في ليبيا هم مجموع الأسر والقبائل ذات الأصول الثابتة، التي يعود استيطانها إلى فترات تاريخية قديمة، وبالنظر إلى الكثافة السكانية في ليبيا، نجدها ضئيلة إذا ما قُورنت بالمساحة الجغرافية التي تبلغ حوالي ١،٧٥٠،٠٠٠كم، يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية التي مرت بها الولاية عبر فترات تاريخها، وقد قدر عدد سكانها بحوالي مليون ونصف المليون نسمة(١٠)،

---

٨ ـ سامح، عزيز ، **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا** ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص.٢٢٨ .

٩ ـ الدجاني ، **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي** ، ص.٢١٨ .

١٠ ـ الدجاني ، **مرجع سابق** ، ص.٢١٥ .

موزعين على الأقاليم الثلاثة(طرابلس ـ برقة ـ فزان)، تركّز معظمهم في مدينة طرابلس، حيث إن الكثير من العائلات من أصول متعددة، ترجع أصول بعضها إلى مدن ليبية، مثل الزاوية ومصراته ونالوت وغيرها من المدن الليبية الأخرى التي سكنت هذه المدينة.

وبالنظر إلى عدد السكان السابق ذكره، قد يكون هذا العدد مبالغاً فيه إذا ما قُورن بإحصائيات وتقديرات الدولة العثمانية لعدد السكان لسنة١٨٨٤م، الذي قدر بحوالي ٣٧٥،٥٠٠ نسمة، مع ملاحظة أن هدف السلطات العثمانية من هذا التقدير هو جمع الضرائب، وعادة ما كان سكان الولاية يتهربون من تسجيل أسمائهم خوفا من دفع الضرائب، ولهذا لا يعد هذا التقدير دقيقا، وما يهمنا من هذا هو أن مدينة طرابلس ضمت النسبة الكبيرة من السكان من ذوي الأصول المحلية، بحكم موقعها وازدهار الأنشطة التجارية والصناعية وتوفر فرص العيش بالمدينة، ويتضح ذلك من خلال ما أوردته أمال المحجوب، حيث ذكرت بأن سكان مدينة طرابلس بلغ عددهم سنة ١٨٨٤م حوالي ٢٥،٠٠٠ نسمة، بلغ عدد المسلمين منهم ١٨،٠٠٠نسمة والأجانب ٣٠٠٠ واليهود ٤٠٠٠ نسمة(١١)، وبالنظر إلى هذه الأرقام، نجد أن غالبية السكان في مدينة طرابلس هم من العرب من السكان المحليين من مدن مختلفة في ليبيا، حيث أنهم يعودون لأسر وعائلات لها جذور قديمة في المدينة، فمثلا نجد عائلة ابن سعد، وعائلة بانون، وابن قلاو،وبورو، كما أن هناك العديد من العائلات التي وفدت على مدينة طرابلس من مدن الدواخل في ليبيا، فمن مدينة مصراته وفدت عائلة قنابة، وعائلة الكعبازي، وعائلة بن عبد الله،ومن مدينة زليطن عائلة قدارة ومن مدينة

---

١١ ـ أمال محمد المحجوب ، **الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب١٨٣٥ ـ ١٩١١م**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،٢٠٠٦م ، ص.٢٢ .

مسلاته عائلة محسن، وابن عبدالله، ومن مدينة تاجوراء عائلة بن موسى،ومن غريان عائلة ناصوف والجعفري، وكل هذه الأسر استقرت داخل مدينة طرابلس(١٢)، فضلا عن العديد من العائلات المحلية الأخرى، والجاليات الأجنبية، وهو ما جعل مجتمع المدينة يضم أخلاطاً من الأجناس، مكوناً نسيجاً اجتماعيا في التركيبة الاجتماعية لمجتمع المدينة، كما أن المجتمع الليبي بشكل عام ينقسم إلى بدو رُحل يقطنون القرى والبادية، وتجمعات مستقرة تقطن المدن، وبين هذين القسمين، نجد قسماً ثالثاً،يتمثل في التجمعات أو القبائل التي تنتجع في بعض شهور السنة، وتستقر في بعضها الأخر،ويمكن أن نطلق عليها شبه المستقرة(١٣)، وأهم ما يميز سكان القرى والأرياف هو الانتماء القبلي والعصبية بينما في المدينة تقل العصبية العشائرية إلى درجة بعيدة، وتذوب في أغلب الأحيان مع ازدهار الحياة الاقتصادية، فالقبائل في المدينة وما حولها لم تكن بالقدر الذي يسمح لها لتكوَّن أي قوة سياسية، فعلى الرغم من تقسيمها إلى قبائل ولحم، إلا أن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية جردتها من قوتها السياسية، وبرزت العائلات على أنقاضها، لتصبح الوحدات الاجتماعية الحاسمة في الشؤون العامة، وهناك العديد من العوامل التي أدت إلى إضعاف وتفكك الروابط القبلية في مدينة طرابلس(١٤)، نذكر منها على سبيل المثال:

---

١٢ ـ حسين سالم ، **الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ ت ١٩١١م)**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، ٢٠٠٩م، ص.٤٢ ـ ٤٣ .

١٣ ـ المبروك الساعدي ، **المجتمع البدوي الليبي ١٨٣٥ ـ ١٩١١م** ، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م، ص.٢٦٧ .

١٤ ـ صلاح الدين حسن السوري،**وضع العائلة في التركيبة الاجتماعية الليبية وتأثيرها السياس**ي، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م، ص.٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ .

طبيعة السكان وهم لم يكونوا بدواً رحلاً، بل كانوا فلاحين مستقرين أو أصحاب أنشطة اقتصادية مختلفة، وهو ما جعلهم في متناول السلطات المركزية، التي نجحت في فرض سياستها وتنظيماتها عليهم، من خلال فرض قانون الأراضي ١٨٥٨م، وبالتالي أصبح دفع الضرائب مسؤولية فردية وليست مسؤولية قبلية.

لم يعد للمجالس القبلية دورها المعروف في الكثير من القضايا،نتيجة للنظم والإصلاحات الإدارية التي سلبت صلاحيات القبيلة.

ومن خلال هذا يمكن القول إن هذه الأسر أو العائلات، ظهرت في العديد من المدن الليبية، وعُرف رؤساؤها بالوجهاء والأعيان، وعملوا كحلقة وصل بين السلطات المركزية بالولاية التي اعترفت بمكانتهم الاجتماعية وبقية السكان.

وسكان الولاية من ذوي الأصول المحلية ويدينون بالإسلام على المذهب المالكي(١٥)، ويشير(فون مالتسان)، إلى أن شيوخ المالكية في طرابلس يعيشون عيشة ضنكا، ويؤدي الكثير منهم خدمتهم في الجوامع دون مقابل، ويعيشون من الحرف، فالبعض منهم إسكافي والأخر تاجر صغير، ويذكر أنه تعرَّف على أحدهم يعيش من إنشاء الرسائل العربية التي يوجهها القنصل النمساوي إلى تجار الدواخل، وكان يحصل مقابل ذلك على قرشين يومياً(١٦)، وهذا يعد مؤشرا حقيقيا على الحالة المعيشية لسكان الولاية.

---

١٥ ـ **المذهب المالكي**: نسبة إلى مالك بن أنس إمام المدينة،ولد سنة٩٣هـ وتوفى سنة ١٧٩هـ ،ولم يغادر المدينة إلا حاجا إلي مكة، وقد تلقى عنه العلم كثيرون من مختلف الأمصار، بينهم المصري والمغربي والأندلسي،وأهم مؤلفاته الموطأ الذي يعتبر أول كتاب فقهي في الإسلام،وانتشر هذا المذهب في بلدان الشمال الإفريقي والأندلس. ينظر : مصطفى الرفاعي، **حضارة العرب** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص. ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

16 - H.von Maltzan, **Reise in den Regenschalten Tunis und Tripoli**, vol. 3, pp 306 – 309.

بينما اتبع بعض أهالي الجبل الغربي(جبل نفوسة)، وسكان مدينة زواره المذهب الأباضي(١٧) .

أما عن لغتة السكان فلسانهم بطبيعة الحال عربي، ويدلل على أن هذا العنصر الذي ينطق العربية هو من الأصل العربي(١٨)، وهناك من يتكلم التركية،بحكم عمله بالدوائر الحكومية العثمانية، أو من درس في المدارس العثمانية التي حرصت على إيجاد نخبة من السكان يدينون لها بالولاء، كما أن هناك من يتكلم باللهجة البربرية ولغة الطوارق، وتجلت عروبة الأهالي في اللغة والدين والانتساب،أما من ناحية الجنس،فقد اختلط فيهم أجناس عدة، شأنهم شأن عرب المنطقة عموماً بفعل عوامل البيئة والتاريخ والدين، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في مناطق الجبل الغربي بين البدو والملامح المغربية والملامح العربية، أما في الجنوب فقد أختلط السكان بالدرجة الأولى بالأفريقيين والزنوج، وخاصة في جنوب الولاية بحكم الجوار، أو في الساحل نتيجة تجارة الرقيق(١٩) .

أما الثياب التي يتخذها الرجال والنساء في طرابلس، والتي تميز العنصر المحلي

---

١٧ ـ **المذهب الأباظي** : ينسب إلى عبد الله بن أباض ألمري التميمي،ظهر هذا المذهب سنة ٦٤هـ /٦٨٣م عندما خالف عبد الله بن أباض نافع بن الأزرق في تكفيره القعدة عن القتال ،إذ أن الأباظية يحرمون دماء المسلمين وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم،انتشر هذا المذهب في بلاد المغرب على يد الداعية سلمه بن سعيد في بداية القرن الثاني الهجري،ولم يمتد به الأجل طويلا فحل محله أبو عبدالله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر، حيث انتشر في أيامهم المذهب بين بربر جبل نفوسة. ينظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب، ١٩٨٥م ، ص.٥١ ـ ٥٤ .

١٨ ـ حسين سالم ، **مرجع سابق** ، ص.٤٢ .

١٩ ـ احمد صدقي الدجاني ، **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي** ، ص.٢١٧ .

فتتمثل في الأردية البيضاء، فالرجل كان يرتدي الحولي(٢٠)، الذي يلف حول الجسم،ويمكن أن يغطي الرأس، ويلبس تحته القميص (السورية)، وسروال أبيض في الغالب.

وهناك أنواع كثيرة من الحولي أو الجرد، فالذي يرتديه الفقراء من القماش الأبيض الميال إلى السمرة، وأما عوام الناس فيرتدون الحولي المصنوع من الصوف الأبيض، أما الأغنياء فيرتدون الحولي المصنوع من الحرير المخطط، وأما غطاء الرأس فكان طربوشاً صغيراً واسعاً(٢١)، وأما حجاب المرأة، فيتم بالحولي(الفراشية)، الذي تجمعه أمام وجهها وتفتح المجال لبروز عين واحدة وهذه الملابس تعبر عن أصالة بعيدة الجذور، تميز بها سكان الولاية بشكل عام، . وتذكر مابل تود وصفا حياً لسكان مدينة طرابلس، وتذكر أن الحياة اليومية في المدينة تقدم صورة حيَّة لقوميات لا مثيل لها في أي منطقة أخرى، فقد كان العرب منتشرين وموجودين دائماً مثل الأطياف التي تبدو في الأحلام يرتدون(الحولي) الأبيض...ويبدي الرجال وجوها سمراء ذات رصانة وإباء لا يمكن التعبير عنهما، ويملأ الشوارع الرئيسية اليهود المتعجلون والمالطيون ذو الوجوه المستديرة، وأمم الصحراء المتدفقة،تمتلئ الشوارع بهؤلاء من كل لونٍ ابتداء من الأصفر إلى البني الغامق جدا ومن ثم إلى الأسود القاتم(٢٢)، ويبدو أن ذوي البشرة السمراء من الزنوج، الذين استوطنوا المنطقة عبر هجرات زنجية قديمة بسبب تجارة الرق، وكانت هناك العديد من القرى الزنجية قرب مدينة طرابلس، ويذكر بأن القرية تضم ما بين ٣٠٠ ـ٤٠٠ كوخ(زريبة) من سعف النخيل، وأن من عادات

---

٢٠ ـ **الحولي**: ويعرف عند السكان (بالجرد)، ويصنع من صوف الغنم بعد أن يتم غزله، ويوضع على مكوك يدوي، وبعد أن يتم نسجه يستخدم كزي يلف به الرجل جسمه،وهو من الأزياء التقليدية. للمزيد راجع. احمد صدقي الدجاني ، **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي** ، ص.٢٣٢

٢١ ـ احمد صدقي الدجاني ، **ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي** ، ص.٢٣٢ .

٢٢ ـ مابل لومس تود، **مصدر سابق** ، ص.١٠٩ .

نسائهم حمل أطفالهن على ظهورهن، وهي عادة أفريقية قديمة، وكانوا من أسعد الطرابلسيين وأشدهم مرحا وخفة، فهم يضحكون ويرقصون أكثر الوقت(٢٣)، وهذه الرواية تؤكد على تعدد الفئات الاجتماعية واختلاطها بولاية طرابلس الغرب ووحدة الزى الشعبي التقليدي عند السكان، وكثيرا ما كانت الملابس المحلية تختلف كثيرا عما كان يرتديه السكان في تونس، حيث كانوا يرتدون سراويل قصيرة تصل إلى الركبة، بينما كان الرجل في ليبيا يلبس الحولي الذي عادة ما يغطي جسمه كاملاً(٢٤) ويشير(عماد الدين غانم) إلى الحولي الذي يتخذه الرجال والنساء، ويتحدث عن استعمالاته الكثيرة، ويرى أنه لا يمكن تصور الليبي دون الحولي، فإنه يعيش ويموت في هذه القطعة المصنوعة من صوف الغنم وبالرغم من أن هذا اللباس جميل وأنيق، إلا أنه غير عملي كلباس للحياة اليومية، ويشير إلى أن اللباس الأوربي بدأ يظهر في سوق طرابلس،ويتخذه الموظفون والعساكر العثمانيون وبعض التجار اليهود، ويرى أنهم الممهدون للتقاليد الأوربية(٢٥)، أما لباس المشايخ فهو جبة سوداء مفتوحة من الأمام، وطربوش لُفت حوله عمامة بيضاء ومسبحة في اليد(٢٦)، كما أن العنصر المحلي تميز عن غيره باليدين الرقيقتين مع لون بشرته القريب إلى السمرة المتدرجة من الأبيض إلى

---

٢٣ ـ احمد عطية المدلل، **مجتمع مدينة طرابلس في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين(نسيج اجتماعي متعدد ومشاعر متباينة وقت الحرب)**،أعمال الندوة العلمية(المؤرخ احمد النائب الأنصاري) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، ٢٠٠٨م ، ص.٢٥٨.

٢٤ ـ عماد الدين غانم ، **مرجع سابق** ، ص.٣١٧ .

٢٥ ـ إفالد بانزة ، **طرابلس مطلع القرن العشرين** ،ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ، ص.٢١٧ .

٢٦ ـ عماد الدين غانم ، **مرجع سابق** ، ص.٣٢٤ .

الأسود(٢٧)، ويشير(بانزه) إلى سكان ليبيا من حيث البشرة، ويذكر في هذا الإطار النموذج الليبي الأمازيغي ذا البشرة الفاتحة أو الحنطية على أبعد حد، والوجه المدور والنموذج العربي الأغمق لوناً، ثم أبناء السودان السود البشرة(٢٨)، وقد تميز السكان من ذوي الأصول المحلية بالترابط القبلي لاسيما في القرى والأرياف، وإن قلّ هذا الترابط في المدن نتيجة تعدد الفئات الاجتماعية الوافدة، كما أن العنصر المحلي تميز بالذكاء والنشاط والترابط الاجتماعي ومراعاة قوانين الدولة واحترام هيبة الخلافة متمثلة في خليفتها، والتأقلم مع ظروف الحياة والعيش بأقل الإمكانيات، فرغم قلة النقود لديهم ورداءة التجارة، فأهلها الطيبون راضون بحياتهم الحالمة الوادعة،غير متأثرين بالأمور التي تقلق بال حضارة القرن التاسع عشر...إن مدينة طرابلس ومدينتها التركية الجميلة، وشوارعها الشرقية الزاهية لتفضل ألف مرة من الناحية العاطفية المدن المزيفة"القاهرة وبيروت وتونس التي تقوم فيها الشوارع الحديثة والفيلات الأوربية، وصالونات القمار التي تزاحم الأسواق الشرقية الأصيلة(٢٩)، وقد وصف كوبر عرب طرابلس بالاحترام والنبل والنظافة، وفضلهم عن اليهود والمالطيين واليونانيين، ونعت النموذج المغربي بينهم (البربري المتعرب)، بالمهارة والنشاط، بينما اتصف العنصر العربي بالحماسة الدينية(٣٠) ويذكر التليسي"أن العرب يشكلون العنصر الأكثر أهمية في المدينة وليس هذا بالأمر الذي يدعو إلى الأسف، لأنهم مع عدم إتقانهم الصناعات التي يتقنها اليهود والمالطيون واليونانيون، فهم أشدُ من هؤلاء

---

٢٧ ـ حسين سالم ، **مرجع سابق** ، ص.٤٢ .

٢٨ ـ إفالد بانزة ، **مصدر سابق** ، ص.٨٥ .

٢٩ ـ احمد المدلل ، **مجتمع مدينة طرابلس في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين(نسيج اجتماعي متعدد ومشاعر متباينة وقت الحرب)** ، أعمال الندوة العلمية(المؤرخ احمد النائب الأنصاري) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، ٢٠٠٨م، ص.٢٦٢ .

30 – H.S . Cowper ,The HiII of Graces, A record of investigation among trilithons and megalithic sites of Tripoli , published by Methuen Sco, London 1897. P,219 .

شخصية واحتراما ونبلاً،وشوارعهم أنظف وأقل عفونة، بحيث إن السائرين يختارون شوارع الأحياء العربية ويفضلونها على شوارع اليهود والمالطيين(٣١)، وهذا يشير إلى أن المجتمع الليبي كان مجتمعا نظيفاً ومحافظاً، مستمداً هذه الطهارة من تعاليم الدين الإسلامي .

أما عن مستوي المعيشة لسكان الولاية فقد كان منخفضاً، وعانت قطاعات كبيرة من السكان من الفقر لعدم وجود فرص العمل، وإن وجدت فغالباً ما يتعرض العاملون لاستغلال أصحاب العمل، وخاصة منهم الأجانب بحكم سيطرتهم على أغلب الأنشطة التجارية، ويشير الدجَّاني إلى رسالة بعث بها متصرف الخمس بتاريخ ١٧ يوليو ١٩١٠م إلى الولاية، تضمنت أحوال العاملين في شركات الحلفاء حيث جاء فيها"أن الطريقة التي تتبعها شركات الحلفاء لايرضاها الضمير الإنساني، إذ أن العامل المسكين لقاء قرشين أو ثلاثة قروش من الأجر يأتي كل يوم قبل طلوع الشمس، ويباشر عمله حتى وقت الظهر، ثم يستريح نصف ساعة، ثم يجبر على العمل أكثر من أربع عشرة ساعة كل يوم، إن مواطنينا هؤلاء المتألمين بسبب الفقر والحاجة، والذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات إلا النطق، يحرمون حينذاك حتى من التحدث إلى بعضهم، وهذا أمر لا يتناسب مع كلمة التمدن التي تسعى الأمم إلى تأسيسها وتعميمها وترسيخها(٣٢)، وهذه الرواية تعطي صورة كاملة عن واقع المستوى المعيشي للسكان، والصعوبات والظروف القاسية التي يواجهونها، وحياة السكان يغلب عليها البؤس بصفة عامة عدا الطبقات الغنية، أما الفئات الاجتماعية التي يتكون منها مجتمع الولاية فهي كالتالي :

---

٣١ ـ خليفة محمد التليسي ، **حكاية مدينة، طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، الدار العربية للكتاب ،ليبيا ـ تونس ، ،١٩٧٤م ، ص.١٨٩ .

٣٢ ـ وثيقة رقم (١٥٢) ، أحمد صدقي الدجاني، وعبد السلام أدهم، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث(الوثائق العثمانية ١٨٨١ ـ ١٩١١م)**، منشورات جامع بنغازي، دار صادر بيروت ١٩٧٤م،،ص.٢٦٦ ـ ٢٦٨ .

ـ الأعيان(٣٣) : ويمثلون أعلى طبقات السلم الاجتماعي، وتشمل العلماء والفقهاء والأغنياء والوجهاء من الأسر العريقة، وقد تمتعت هذه الطبقة بالكثير من الامتيازات خلال العهد العثماني، من بينها الإعفاء من الضرائب(٣٤)، وامتلاك أخصب الأراضي الزراعية، وتحقيق أغراضهما وأهدافهما الشخصية، دون النظر للمصالح العامة(٣٥) وكانت هذه الطبقة قريبة من السلطة، التي حاولت الاستفادة منهم في بسط نفوذها على السكان.

ـ الزعامات القبلية(شيوخ القبائل) : بحكم أن تركيبة المجتمع الليبي تركيبة قبلية، كان من الطبيعي أن يكون لكل قبيلة شيخ أو زعيم يتولى تدبير شؤونها، ويكون بمثابة حلقة الوصل بين القبيلة والسلطات المركزية للولاية، حيث إن سلطات الولاية اعتبرت تلك الزعامات إحدى الركائز الأساسية الهامة لبسط نفوذها وسلطانها على الولاية، مقابل حصولهم على امتيازاتهم ومصالحهم الاقتصادية ولهذا كان من الطبيعي أن تهتم السلطات بتلك الزعامات، ويظهر هذا جلياً عندما تولى أول ولاة العهد العثماني الثاني(نجيب باشا) حكم الولاية، فكان أول عمل قام به هو توجيه الدعوة إلى زعماء القبائل للحضور وتقديم الولاء والطاعة، وكان من أبرز هؤلاء(غومة المحمودي في منطقة جبل نفوسة، وعبد الجليل سيف

---

٣٣ ـ **الأعيان** : ويطلق على الأشراف والسادة في المدن والقرى،وشاع هذا المصطلح في القرن السابع والثامن عشر الميلاديين،ليشمل الصفوة من أهل البلاد.انظر أكمل الدين إحسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ترجمة صالح سعداوي،منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩١٩م، ص.٢٥٦ .

٣٤ ـ علي عبد اللطيف حميدة،**المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا**،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٨م, ص.٩٩ .

٣٥ ـ عبدالله علي إبراهيم ، **مجلس الإدارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني،مجلة البحوث التاريخية** ،العدد الثاني،السنة الثانية،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، ١٩٨٠م، ص.٢٦ .

النصر في فزان، وعثمان الأدغم في مصراته، وأحمد المريض في منطقة ترهونة(٣٦) وهذا يشير إلى مكانة هؤلاء الزعماء وتأثيرهم على السكان، ودورهم في التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للقبيلة، وهذا ما دفع السلطات للاهتمام بهم .

ـ طبقة العامة أو البسطاء: وتشمل جميع الذين يزاولون الحرف والمهن البسيطة، والأغلبية منهم يعيش في الفقر والبؤس، وتضم هذه الطبقة الحرفيين والصنَّاع والفلاحين والتجار والعمال، وقد تميزت حياتهم بالتدهور، ويعدون من الفئات الفقيرة، وقد ساهمت القوانين العثمانية، المتمثلة في فرض الضرائب والرسوم وتعسف المأمورين، وبدائية النشاط الصناعي وتحديد أسعار المنتجات(٣٧) في معاناة الكثير من هذه الفئات .

٢ ـ العناصر العربية الوافدة:

عرف مجتمع طرابلس الكثير من العناصر العربية الوافدة سواء من الشرق أو من الغرب، وقد ساعد الإسلام كثيرا على صهر هذه الفئات،كما أن التطابق والتكافؤ في المستوى الحضاري كان له أثر كبير هو الأخر، يضاف إلى ذلك الظروف الجغرافية التي زادت من عملية الانصهار، وخاصة فئة التجار التي أُجبرت على التعامل مع الغريب بحكم نشاطها التجاري، وتنقلها بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما أن انعدام السلطة المركزية القوية،ساهم هو الأخر في استيطان العديد من القبائل العربية في ليبيا، وخير مثال هجرة الهلاليين والسليميين من الشرق خلال القرن الحادي عشر الميلادي، الذين استوطنوا المنطقة وزادوا من

---

٣٦ ـ أتوري روسي ، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١م ، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي بيروت الدار العربية للكتاب ١٩٩١م** ، ص.٤٢٥ .

٣٧ ـ ريتشارد بينيل، **الضرائب في ليبيا ـ أشقر علي باشا واستعادة الحكم العثماني لطرابلس ، مجلة البحوث التاريخية** ، العدد الأول ، السنة الحادية عشر ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، ١٩٨٩م ، ص.٧٥ .

تأكيد وحدتها السكانية، ويكونون الآن القاعدة السكانية البدوية في ليبيا، منهم على سبيل المثال قبائل الرجبان، وأولاد سليمان، والمقارحه، والزنتان، والمحاميد والريايينه، وكلها تعود لقبيلة بني سليم(٣٨).

كما أن هناك العديد من العائلات المغربية التي وفدت إلى ليبيا، فمن تونس نجد عائلة القرقني، التي وفدت من مدينة قرقنه التونسية، وعائلة الجمل الوافدة من تونس، وعائلة لطيف وهي من العائلات القديمة في طرابلس وفدت من مدينة جربه، فضلا عن الكثير من التجار الذين هاجروا من جزيرة جربه باتجاه طرابلس، وامتلكوا أغلب الدكاكين الجيدة في الأسواق، فمن بين سبعين تاجرا، مثل التونسيون ٤٤ تاجرا أي بنسبة٦٢،٨٥٪من التجار العرب، ومن الفئات الاجتماعية الأخرى التي عرفها مجتمع مدينة طرابلس هناك الجزائريون الذين وفدوا على شكل هجرة جماعية إلى طرابلس، خاصة في عهد الوالي علي رضا باشا الجزائري الأصل، إذ تولوا أثناء حكمه الكثير من الوظائف المهمة،وشكلوا طبقة أرستقراطية (٣٩) كما أن القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين شهدا حركة سكانية واسعة، زادت من الاختلاط الليبي وتجانسه، خاصة بعد طرد العرب من الأندلس سنة ١٤٩٢م، وتعرض الأندلس إلى حملات الصليبيين الأسبان وسقوط كبريات المدن الأندلسية، وهو ما عُرف بحركة الاسترداد المسيحي، الأمر الذي أدى إلى نزوح الكثيرين من السكان جنوبا وشرقاً طلبا للامان والاستقرار، فهاجرت جماعات من مسلمي الأندلس إلى شمال أفريقيا، من بينها ليبيا حيث

---

٣٨ ـ محمد الطاهر الجراري، **مرجع سابق** ، ص.٣٥٤ .

٣٩ ـ عمار جحيدر، **آفاق ووثائق تاريخ ليبيا الحديث**، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، د.ت، ص ص.٢١١ ٢١٥ـ٢١٦.

٣٩ ـ هـ . س. كاوبر ، **مرتفع الأهات الجمال(استكشاف الهياكل الثلاثية والمواقع المغليثية في طرابلس)**، ترجمة أنيس زكي حسن، دار الفر جاني طرابلس، ١٨٩٧م ، ص.٨٧٠ .

استقر بعضهم بها، نذكر منهم عائلة الفطيسي الشهيرة في مدينة زليطن، التي هاجرت حسبما ذكر في المائة السابعة الهجرية، وذلك عندما تعرضت الأندلس إلى حملات الصليبيين الأسبان، فقد جاءت هذه الأسرة إلى مدينة طرابلس، واستقرت بقرية(أزدو)الواقعة إلى الشمال من مدينة زليطن، ولها بهذه القرية زاوية تعرف بزاوية المشايخ الستة، وهم من رجال هذه الأسرة(٤٠).

كما عرف مجتمع مدينة طرابلس، عائلة الحطاب التي وفدت هي الأخرى من الأندلس(٤١)،

ويمكن القول إن الكثير من العائلات الأندلسية، قد استوطنت في ليبيا وانصهرت مع المجتمع ونقلت العديد من المؤثرات، كالفنَّ الأندلسي المعروف بالمالوف وهو مزيج من الموشحات والأشعار والأزجال التي يوحَّد بينها النغم الأندلسي وفي المألوف الليبي نجد الموشحات والأزجال التي تعود إلى المدرسة الاشبيلية ، ويمكن القول أن المجتمع الليبي تأثر كثيرا بموجات الهجرة وما تحمل من صور حضارية.

---

٤٠ ـ عبد الحميد عبدالله الهرامة، **الهجرة الأندلسية إلى ليبيا**،أعمال الندوة العلمية(المؤرخ احمد النائب الأنصاري ١٢٦٤ ـ ١٣٣٦هـ /١٨٤٨ ـ ١٩١٨م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ، ٢٠٠٨م ، ص.٧٥ .

٤١ ـ احمد النائب الأنصاري ، **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تحقيق علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٣م ، ص.٣٠ .

الخـــاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع أمكن الوصول إلى العديد من النتائج التي من بينها :

١ ـ المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات الأخرى ينقسم إلى قسمين حضري وهم سكان المدن ، وبدوي وهم سكان الأرياف والواحات ,

٢ ـ بالرغم من كثرة الأجناس والعائلات التي وفدت إلى ليبيا خلال العهد العثماني الثاني ،إلا أن المجتمع الليبي حافظ على خصوصيته وعاداته.

٣ ـ ساهمت العديد من النظم واللوائح والإجراءات العثمانية في ضعف العصبية القبلية في المدينة .

٤ ـ ساهمت العديد من العوامل من بينها الحروب والمجاعات في دفع الكثير من العائلات العربية والأجنبية والإفريقية إلى التوجه والاستيطان في ليبيا .

٥ ـ بالرغم من الكثير من المؤثرات التي كانت تهدف إلى طمس الهوية العربية الإسلامية والمتمثلة في المداس الأجنبية إلا أن المجتمع الليبي ظل متماسكا وحافظ على هويته .

٥ ـ بالرغم من العديد من السلبيات التي رافقت قدوم الكثير من الأجناس والعائلات إلى طرابلس ،إلا أن هناك الكثير من النواحي الإيجابية خاصة في المجال التجاري وخاصة العائلات التونسية .

قاءمة باسماء المصادر والمراجع

اولا المصادر :

١ ـ عبد الحفيظ فضيل الميار، **الحضارة الفينيقية في ليبيا**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ٢٠٠١م،

٢ ـ هنري حبيب، **ليبيا بين الماضي والحاضر**، ترجمة شاكر إبراهيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان،طرابلس، ١٩٨١م

٣ ـ سالم علي الحجاجي ، **ليبيا الجديدة(دراسة جغرافية اقتصادية سياسية)** مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس، ١٩٨٩م .

٤ ـ محمد الطاهر الجراري، **"الخصوصية الليبية أو ثقافة الذنب والعار"**، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م

٥ ـ عماد الدين غانم ، **المجتمع الليبي لدى الرحالة الأوربيين**، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م

٦ ـ الدجاني، احمد صدقي ، **ليبيا قبيل الاحتلال أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (١٨٨٢ ـ ١٩١١م)** ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١م

٧

٨ ـ سامح، عزيز ، **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا** ، بيروت ، ١٩٦٩م .

.

١١ ـ أمال محمد المحجوب ، **الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب١٨٣٥ ـ ١٩١١م**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،٢٠٠٦م ، .

١٢ ـ حسين سالم ، **الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ ت ١٩١١م)**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، ٢٠٠٩م،

١٣ ـ المبروك الساعدي ، **المجتمع البدوي الليبي ١٨٣٥ ـ ١٩١١م** ، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م، .

١٤ ـ صلاح الدين حسن السوري،**وضع العائلة في التركيبة الاجتماعية الليبية وتأثيرها السياس**ي، أعمال الندوة العلمية الثامنة(المجتمع الليبي١٨٣٥ـ١٩٥٠م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥م،

١٥ـ مصطفى الرفاعي، **حضارة العرب** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص. ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

١٧ ـ محمود إسماعيل عبد الرزاق ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب، ١٩٨٥م ، ص٥١ ـ ٥٤ .

١٨ ـ حسين سالم ، **مرجع سابق** ، ص٤٢ .

٢٣ ـ احمد عطية المدلل، **مجتمع مدينة طرابلس في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين(نسيج اجتماعي متعدد ومشاعر متباينة وقت الحرب)**،أعمال الندوة العلمية(المؤرخ احمد النائب الأنصاري) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، ٢٠٠٨م .

.

٣١ ـ خليفة محمد التليسي ، **حكاية مدينة، طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، الدار العربية للكتاب ،ليبيا ـ تونس ، ،١٩٧٤م ،

٣٢ ـ وثيقة رقم (١٥٢) ، أحمد صدقي الدجاني، وعبد السلام أدهم، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث(الوثائق العثمانية ١٨٨١ ـ ١٩١١م)**، منشورات جامع بنغازي، دار صادر بيروت ١٩٧٤م،

٣٣ ـ أكمل الدين إحسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ترجمة صالح سعداوي،منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩١٩م،

٣٤ ـ علي عبد اللطيف حميدة،**المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا**،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٨م

٣٥ ـ عبدالله علي إبراهيم ، **مجلس الإدارة في ليبيا في العهد العثماني الثاني،مجلة البحوث التاريخية** ،العدد الثاني،السنة الثانية،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس،١٩٨٠م،

٣٩ ـ عمار جحيدر، **آفاق ووثائق تاريخ ليبيا الحديث**، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، د.ت،

٤٠ ـ عبد الحميد عبدالله الهرامة، **الهجرة الأندلسية إلى ليبيا**،أعمال الندوة العلمية(المؤرخ احمد النائب الأنصاري ١٢٦٤ ـ ١٣٣٦هـ /١٨٤٨ ـ ١٩١٨م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ، ٢٠٠٨م

٤١ ـ احمد النائب الأنصاري ، **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تحقيق علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٣م ،

ثانيا: الكتب المعربة.

٣٦ ـ أتوري روسي ، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١م ، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي بيروت الدار العربية للكتاب ١٩٩١م ،** .

٣٧ ـ ريتشارد بينيل، **الضرائب في ليبيا ـ أشقر علي باشا واستعادة الحكم العثماني لطرابلس ، مجلة البحوث التاريخية ،** العدد الأول ، السنة الحادية عشر ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، ١٩٨٩م

ـ مابل لومس تود ، **أسرار طرابلس** ، ط١ ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ١٩٦٨م

٢٥ ـ إفالد بانزة ، **طرابلس مطلع القرن العشرين** ،ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس

ثالثا الكتب الانجايزية.

16 - H.von Maltzan, **Reise in den Regenschalten Tunis und Tripoli**, vol. 3

30 – H.S . Cowper ,The Hill of Graces, A record of investigation among trilithons and megalithic sites of Tripoli , published by Methuen Sco, London 1897